موقف البابا حنا الثامن من تهديدات مسلمي جنوب إيطاليا لروما (٨٧٢ – ٨٨٢م)

د. إيمان عبد التواب خلاوي
مدرس العصور الوسطي
كلية الآداب– جامعة دمنهور

ملخص :

لقد ظل حلم إسقاط روما وإدخالها في فلك المسلمين، غاية كبري تراود المجاهدين والمحاربين منذ بداية حركة الفتوح الإسلامية، وحتي إسقاط القسطنطينية علي يد السلطان العثماني محمد الفاتح ١٤٥٣م، الذي تفاخر بتجهيزه الجيوش لاجتياح أوروبا وفتح روما،بعد أن نجح في مسعاه الأول بفتح القسطنطينية وضمها إلي لواء المسلمين؛ لكن الموت لم يمهله، لتتنفس البابوية الصعداء وتنجو روما من مصير محتوم.

إلا أن المنقب في صفحات التاريخ سيجد أن العرب من الأغالبة حاصروا روما، ونجحوا في دخولها بالفعل ثلاث مرات علي الأقل؛ كانت المرة الأولي في عام ٨٤٦م، وقد نجح المسلمون في اجتياح المدينة التي خلت من أسوار أو حصون تحميها آنذاك، لدرجة أن المسلمين وصلوا لكنيسة بطرس الرسول واستولوا علي ما بها من ذخائر وكنوز، ولم يكن من المتوقع أن تنهار المدينة بهذه السهولة.وفي المرة الثانية ٨٤٩م جاءت قوات بحرية من الأغالبة لفتح روما وخاضت معارك ضارية، ولولا هلاك الأسطول الإسلامي بفعل الرياح والأمواج العاتية، وهزيمة الأغالبة في معركة أوستيا لسقطت روما في قبضة المسلمين.

أما المرة الثالثة فكانت في عام ٨٧٦م في عهد البابا يوحنا الثامن الذي ربط مصيره ومشروعه البابوي بالقضاء علي المسلمين في جنوب إيطاليا وصقلية، فأخذ يعقد التحالفات بين المدن الإيطالية المتناحرة والغارقة في الأطماع والصراعات الداخلية، وكان البابا يعتقد أن الخطر كفيل بجمع راية المدن الإيطالية تحت لوائه

فأغدق عليهم الأموال ليرغبهم في القتال ونبذ الخلاف، ولتشجيعهم علي تقديم أساطيلهم البحرية لقتال المسلمين لطردهم خارج شبه الجزيرة الايطالية .

وقد رد المسلمون علي ذلك بحصار روما أكثر من مرة حتي كادت المدينة أن تسقط، ولم يرحل عنها المسلمين إلا بعد أن دفع البابا الجزية في سابقة خطيرة ومهينة للبابوية نتج عنها عداء لا يمكن إخفاؤه من البابوية للمسلمين، لما لحق بها من عار .

وعبثاً حاول البابا يوحنا الثامن السفر إلي الغرب الأوروبي لحشد الجيوش والعتاد لمواجهة المسلمين، لكنه فشل ولم يجد مفراً من العودة لإقناع المدن المسيحية الإيطالية بقتال المسلمين، مستخدمًا سياسة التهديد بالحرمان أو اللعنة، وسياسة الإغراء بالأموال لتأجير السفن الايطالية تارة أخري؛ فأنفق ببذخ وأجهد خزانة البابوية حتي أفني ما بها من ثروات، فاجتمع أعداء البابا يوحنا الثامن ضده وقتلوه ، بحجة أنه أشعل المنطقة بالحروب والنزاعات بين القوي المسيحية في إيطاليا، وأنه قضي علي أموال البابوية، بعد أن بددها بدفع الجزية للمسلمين أو بدفعها لتأجير الأساطيل البحرية والجنود المرتزقة . ليقف التاريخ مصدوماً لأول حالة اغتيال لبابا في التاريخ علي يد مسيحيين كاثوليك عام ٨٨٢م .

The Attitude of Pope John IIX towards the threats of the Muslims of southern Italy against Rome (872 – 882 C. E.)

The dream of overthrowing Rome was a great goal since the beginning of the Islamic conquest , until the overthrow of Constantinople by the Ottoman Sultan Muhammad al-Fateh in 1453 AD, who boasted of preparing the armies to invade Rome; but death did not allow him to do it .

But the prospector in the pages of history will find that the Arabs of the Aghlabids have already succeeded in entering Rome at least three times; it was the first time in 846 AD, and Muslims were able to invade the city that was free of walls or fortresses that protect it so that Muslims reached the Church of Peter, and took possession of the treasures, and the city was not expected to collapse so easily. In the second time, 849 naval forces from the Aghlabid launched naveybattle , Without the destruction of the Islamic fleet by the winds and waves, Muslimsdefeated in the battle of Ostia, After it almost fell in hands of Muslims.

The third time was in 876 CE during the reign of Pope John VIII, who linked his fate and his papal project to the elimination of Muslims in southern Italy and Sicily. He took alliances between rival Italian cities, They were given the money to fight and discard the dispute, and to encourage them to offer their naval fleets to fight the Muslims to drive them out of the Italian peninsula.

The Muslims responded to this with the siege of Rome more than once until the city almost fell, and did not leave the Muslims only after the Pope paid the tribute, in a dangerous precedent and insulting the papacy resulted in hostility can not be hidden from the papacy for Muslims, because of the shame.

In vain, Pope John VIII tried to travel to the West to mobilize armies and equipment to confront Muslims, but he failed to find a way to persuade Christian cities of Italy to fight Muslims, using the policy of threats of excommunicationor curse, and the temptation of money to rent Italian ships ; The enemies of Pope John VIII gathered against him and killed him, on the grounds that he ignited the region in wars and conflicts between the Christian forces in Italy, and he spent the money of the papacy, after he wasted by paying the tribute to the Muslims or by paying them to rent the lion History stands as a shock to the first case of Pope's assassination in history by Catholic Christians in 882 CE .

مقدمـــــة:

لقد ظل حلم إسقاط روما وإدخالها في فلك المسلمين غاية كبري تراود المجاهدين والمحاربين منذ بداية حركة الفتوح الإسلامية، وحثي إسقاط القسطنطينية عام ١٤٥٣علي يد السلطان العثماني محمد الفاتحMuhammad the Conqueror (ت. ١٤٨١م)، وربما اعتقد البعض أن روما مدينة آمنة ومحصنة ماديًّا ومعنويًّا !! بمعني أن روما مدينة يصعب تهديدها لكونها المقر الرسولي للبابوية وهو ما يضمن لها هيبة دينية وتحصينًا معنويًا اكتسبتها بادعاءات شتى سواء كانت صحيحة أم مزيفة، وبالنسبة للتأمين المادي، فيكفي القول بأنها مدينة يسكن فيها وحولها حشودٌ غفيرة من الأمراء والملوك المسيحيين الكاثوليك، الذين يشكلون خط دفاع قوي أمام أية تهديدات محتملة.

تهديدات المسلمين لمدينة روما قبيل تولى البابا حنا الثامن الكرسي البابوى.

بيد أن المنقب في صفحات التاريخ يجد أن الأغالبة بمجرد تمكنهم من أحكام سيطرتهم علي صقلية، قاموا بمجموعة من الهجمات البحرية والبرية التي استهدفت التمكين لبقاء المسلمين في جنوب إيطاليا بتشجيع ومباركة حاكم صقلية "أبو العباس محمد بن عبد الله بن الأغلب" (٨٤١-٨٥٦م)، وكانت تلك المعارك هي الشرارة الأولى التي شجعتهم على التحرك لحصار مدينة روما أكثر من مرة بهدف فتحها؛ ففي شهر أغسطس من عام ٨٤٦م/٢٣٢هـ تعرضت مدينة روما لهجوم من الأغالبة المجاهدين في البحر[١]، حينما

---

[١] سمي الأغالبة بهذا الاسم نسبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال، الذي عهد إليه الخليفة المنصور بولاية أفريقيا الفترة من ١٤٨-١٥٠هـ/٧٦٥- ٧٦٧م، وحينما ثار البربر على الدولة العباسية قبل الخليفة هارون الرشيد أن يتولى إبراهيم بن الأغلب ولاية أفريقية، وأن يورث الحكم فى أولاده، على أن يدفع للخليفة الخراج، والدعاء للخليفة على المنابر وسك العملة باسم الدولة العباسية، وقد تمكنوا من الاستيلاء على صقلية، ولم تمض سنوات قليلة حتى تطلع المسلمون إلى إيطاليا. انظر: ابن الأثير (ت. ٦٣٠هـ) أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد: الكامل في التاريخ، مج ٦، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٥- ٧٦؛ ياسر طالب الخزاعلة: الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة فى=

هبطت قوات المسلمين علي مصب نهر التيبر Tiber – حيث أنشئت روما على ضفة نهر التيبر – وزحفوا غربا حتى وصلوا بالفعل أمام أسوار روما، لكنهم فشلوا في دخولها؛ وقد أسهبت المصادر الأجنبية المعاصرة في وصف المجازر التي ارتكبها المسلمون – علي حد زعمهم – وقيامهم بتدمير كنيستى القديس بطرس والقديس بولس، حيث تقع الكنيستان خارج أسوار أورليان التي تحيط بالمدينة لحمايتها – فقام المسلمون بالاستيلاء علي الذخائر والكنوز الموجودة بالكنيستين – علي حد وصف المصادر المعاصرة –، وأكدت أن المسلمين أقاموا معسكراً فوق ربوة مرتفعة ومحصنة علي مقربة من أسوار المدينة، لكن المسلمين واجهوا مقاومة شديدة وتعرضوا للذبح علي يد أهل كامبانيا Campania[٢] وبعض قادة الإمبراطور لوثير الأول[٣] Lothair I (٨١٧-٨٥٥م) فاضطروا للتراجع إلى سفنهم [٤].

=المغرب بين القرنين الثانى والرابع الهجريين (١٢٣-٣٦٢هـ/٧٤٠-٩٧٣م)، دار الخليج، عمان – الأردن، ٢٠١٧م، ص ١٧٠ – ١٧١؛ عادل عبد الحافظ حمزة : البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، فى مجلة المؤرخ المصري، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤م، كلية الآداب – جامعة القاهرة، ص ١٢١، ١٢٢.

[٢] هو أحد الأقاليم الواقعة جنوب إيطاليا يحدها من الشرق والجنوب مدينة أبوليا، ويحدها من الغرب البحر التيراني، وقد أخذت اسمها من الاسم اللاتينى Campus بمعني حقل، وذلك لكونها عبارة عن سهل زراعى، احتلها القوط في القرن الخامس، وفي القرن السادس الميلادى كانت مقتسمه بين بيزنطة واللمبارد، ومع ظهور المسلمين كانت من أقوي الأقاليم التي واجهت أسطول المسلمين بفضل مدينة أمالفي أحد أهم المدن فيها . لمزيد من التفاصيل انظر :
Roy domenico: The Regions of Italy "A Reference Guide to History and Culture", Greenwood Publishing Group, London, 2002, pp. 53 , 55.

[٣] هولوثير أو لوثر الابن الأكبر للإمبراطور لويس التقي ووالدته إرمنجارد Ermengarde (٧٧٠-٨١٨م)، قام بتحريض أخويه بيبين أف أكوتين ولويس الألماني علي الثورة ضد والدهم لويس التقى حينما أراد أن يجعل شقيقهم الصغير شارل – الذي سيعرف بشارل الأصلع – شريكا في وراثة الإمبراطورية، وقد شارل لوثر والده في حمل لقب عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة (٧٩٥- ٨٥٥م) ثم انفرد بحمل اللقب بعد وفاة والده عام ٨٤٠م، ولكنه سرعان ما تنازع مع أشقائه، وانتهى الأمر بتوقيع اتفاقية الفردان ٨٤٣م لتقسيم الإمبراطورية الكارولنجية مع=

والمتأمل فيما سبق، سيجد أن المصادر المعاصرة تبالغ في وصف المجازر وأعمال السلب والقتل لدرجة أن العالم المسيحي والبابا سرجيوس الثاني Sergius II (٨٤٤- ٨٤٧م) ظل طوال حياته يتذكر هذه المجازر بحسرة وألم. كما تضع العمليات العسكرية للمسلمين في إطار غارات أو قرصنة موجهة بغرض السلب والنهب ثم الهروب بما سلبته [٥]، والمرجح أنها تهدف بذلك إلي نفي صفة الجهاد والحرب بين خصمين متكافئين، للتحقير من جهاد المسلمين، وفي نفس الوقت تناقض ما ترده؛ حينما أكدت علي رغبة المسلمين في دخول مدينة روما وإقامة معسكر حصين بالقرب من أسوارها، ليكون نقطة انطلاق لهجمات المسلمين؛ الذين تعرضوا لما يشبه حرب العصابات؛ حيث كان يتم اختطاف المسلمين وذبحهم، وللتأكيد على أن المسلمين لن ينشئوا معسكرًا إلا بغرض الاستقرار، واتخاذه كنقطة ارتكاز لممارسة العمليات الحربية.

=أشقائه، ويبدو أن الأمور لم يقدر لها أن تهدأ طويلا؛ لأن لوثر زج بالإمبراطورية الكارولنجية في حرب أهلية من جديد انتهت بتقويع الصلح مع أشقائه ٨٤٥م؛ بسبب تهديدات الفيكنج لباريس وكذلك تهديدات المسلمين لممتلكاته في إيطاليا وهى التهديدات التى انتهت بغارة المسلمين ومهاجمة روما ٨٤٦م . انظر:

The Annals of St-Bertin:"ninth century histories , trans. By Janet L. Nelson, vol. 1, Manchester University Press, Manchester , 1991 , pp. 55 – 56 , 60 .

(4) Ibid. , p. 63 ; The Annals of Fulda: The Annals of Fulda " ninth century histories , trans. By Timothy Reuter , vol. 2 , Manchester University Press , Manchester , 1992 , p. 25.

(٥) Annales Xantense " 790 – 873 " in M. G. H., separatism editi , Scriptores rerum Germanicarum , Hannover , 1909 , pp. 15 – 16 ;

عادل عبد الحافظ حمزة : مرجع سابق، ص ١٢٨

تجددت الغارات الإسلامية علي روما في عهد البابا ليو الرابع Leo IV (٨٤٧-٨٥٥م) إذ سرعان ما تحركت الجيوش الإسلامية لمهاجمة بنيفيتو[٦]، واستمرت في الزحف حتي وصلت لحدود مدينة روما عام ٨٤٨م، في الوقت الذي تحرك الأسطول الإسلامي من سردينيا متوجهًا إلى مدينة أوستيا Ostia[٧] في عام ٨٤٩م، وللتصدي لهذا الهجوم تكون حلف مكون من أسطول مدينة أمالفي Amalfi[٨] وجايتا Gaeta[٩] وقيصر الشجاع

---

(٦) تقع بنيفينتو شمال شرق نابولى، وكان اسمها فى بداية الأمر يعني Maleventum وهي مشتقة من الكلمة اليونانية malon وتعنى التفاح، بينما يرى البعض أنها تعني موقع الرياح السيئة، وقد ألحقها النورمان بصقلية كدوقية، علي أن يحكمها نائب بابوى، حتى اجتاحها فردريك الثاني، ومن بعده مانفريد الذي قتل بها في عام ١٢٦٦م . انظر :

Christopher Kleinhenz : *Med. Ita. Ency.*, vol. 1, Routledge , new York , 2004 , pp. 106 – 107.

(٧) تعتبر مدينة أوستيا خط الدفاع الأول عن مدينة روما، حيث تم بناؤها علي الميناء القديم لمدينة روما، وهي تعتبر هي المدخل الرئيس لنهر التيبر الذي بنيت عليه مدينة روما، وسرعان ما تطورت المدينة وازدهرت تجاريًا بفضل موقعها الجغرافي، المطل علي البحر التيراني، وأصبحت فيما بعد مسئولة عن إمداد روما بالبضائع والسلع .

John R. Clarke: The Houses of Roman Italy, 100 B.C.–A.D. 250, University of California Press , California , 1991 , p. 267 .

(٨) أمالفى مدينة وقوميون تابعة لمقاطعة سالرنو، في إقليم كامبانيا، وتطل على البحر التيرانى، أنشئت في القرن السادس الميلادي، حيث ورد ذكرها عام ٥٩٦م في خطاب للبابا جرجوري العظيم، ولم يرد ذكرها حتي عام ٧٨٥م في خطاب للبابا هادريان الأول، وقد ازدهرت المدينة تجاريًا بفضل تعاملها مع المسلمين في مصر والشام، وقد تخلصت أمالفي من التبعية لبيزنطة عام ٨٣٩م، وأصبحت دوقية مستقلة حين خضعت للنورمان ١٠٧٣م وأصبحت كونتية تابعة لهم، لكنها احتفظت ببعض الامتيازات لكن تم سحبها منهم حينما ساندت أمالفي البابا إنوسنت الثاني ضد روجر الثاني ملك صقلية . انظر: . Ibid , pp. 23 – 24

(٩) جايتا مدينة وقوميون يقع في وسط إيطاليا، في مقاطعة لاتينا وقد اشتق اسمها من الكلمة اليونانية kaiadas، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ٤٧٦م تحولت جايتا إلى دوقية خاضعة لبيزنطة، وتعرضت سواحلها إلي ضربات موجعة على يد المسلمين أدت لتدمير المدينة في القرن التاسع الميلادي، وتم إعادة بنائها مرة أخري في القرن الحادي عشر . انظر:

Caesar the –Brave (٨٤٠–٨٧٠م) ابن سرجيوس حاكم نابولي – Sergius I of Naples (ت. ٨٤٦م). وتجمع الجيش المسيحي في أوستيا؛ حيث خرج البابا ليو الرابع لمباركة الجيش المسيحي بنفسه، ووقعت معركة أوستيا الشهيرة بين الطرفين، حيث سارت المعركة في صالح المسلمين أول الأمر، لكن الظروف الجوية كانت خصمًا عنيدًا للمسلمين، حيث ذكرت حولية القديس بيرتين st. Bertin أن رياحًا وعواصف عاتية ضربت السفن الإسلامية التي تحطمت بالكامل، وتم أسر العديد من المسلمين، كما حملت الأمواج ما تبقي من الغنائم إلى الشاطئ حيث نهبها السكان المحليون واضطر المسلمون للانسحاب، وترتب على هذه الغارة أن قام البابا ليو الرابع ببناء أسوار وتحصينات حول الضفة اليمني من نهر التيبر لحماية مدينة روما وكنيسة القديس بطرس بعد أن دمر المسلمون أجزاء كبيرة من المدينة في تلك الغارة (١٠).

ويمكننا القول أن الغارتين رغم فشلهما في إيجاد موطئ قدم للمسلمين في روما؛ إلا إنهما حققتا مكسبًا اقتصاديًّا؛ حيث عاد المسلمون لمعاقلهم محملين ببعض الغنائم والأسرى كما حدث في غارة ٨٤٦م، وفي نفس الوقت تمكنوا من استكشاف مواطن الضعف في المدينة، وتبين لهم سهولة حصارها والاستيلاء عليها، ولذا يمكن اعتبارها غارات استكشافية استطلاعية في المقام الأول، ولهذا لم يخرج المسلمون بمكاسب استراتجية سياسية، سواء كانت أراضى أو تحالفات سياسية مع البابوية، والأمر المثير للدهشة أن هناك اتفاقًا بين المصادر علي تجاهل اسم القائد المسلم في كلتا الغارتين التى شنت بمباركة حاكم صقلية، وربما كان هذا التجاهل لكون الحاكم لم يشارك فيها بصفة شخصية؛ أو لأنها لم يترتب عليها مكاسب على مستوى حركة الفتوح والأراضي . وبناء علي ما سبق يمكننا القول بأن الغارتين قد شكلتا الأساس الذي بنيت عليه حالة الترصد والخوف البابوي من كل ما هو

Roy domenico : op. cit. , p. 148 .

(١٠) The Annals of st. Bertin , pp. 64 – 65 ; Annales Xantense : op. cit., p.17; Barbara Kreutz: Before the Normans “Southern Italy in The Ninth and Tenth Centuries , University of Pennsylvania Press , philadelphia , 1996 , p. 28.

إسلامي؛ لأنها تعتبر أول حالة صدام عسكري مباشر بين البابوية في روما والمسلمين بشكل عام، وهو الخوف الذي تنامى حتى وصل للكراهية المطلقة لكل ما هو مسلم، وهو ما تجسد في أفكار البابوية العدائية فيما بعد مثل الحروب الصليبية أو الحصار الاقتصادي إلخ ...؛ لأن البابوية أدركت أن المسلمين جاءوا ليبقوا، ولن يتوانوا عن تكرار المحاولات حتى تتحقق أهدافهم .

بدايات الصدام بين البابا حنا الثامن والمسلمين

يتوجب علينا في أول الأمر تحديد الخلفية التي جاء منها البابا حنا الثامن (٨٧٢– ٨٨٢م)، فهو روماني المولد والهوية ولد في مدينة روما في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي، ظهر نجمه بعد أن أصبح شماساً للكنيسة الرسولية، ولاقى انتخابه للبابوية معارضة، لكنه أثبت نفسه واعترف له المؤرخون بأنه كان من أعظم البابوات الذين تولوا الكرسي البابوي في القرن التاسع الميلادي، لدرجة أن أحد المؤرخين اعتبر البابا حنا الثامن بمثابة الأب الروحي للحروب الدينية ضد المسلمين في العصور الوسطي، ففي عهده بدأت إرهاصات الحرب الدينية ضد المسلمين [11]. وحينما أصبحت مدينة روما قبلة الفاتحين الجدد تحولت ذكري غارتي ٨٤٦، ٨٤٩م إلي فاجعة ماثلة في أذهان الجميع، خاصةً البابا حنا الثامن كان شاهد عيان علي تلك الغارات في صباه، وراقب عن كثب تصاعد حدة تهديداتهم لروما . لذلك بمجرد اعتلائه الكرسي الرسولي تبنى مشروعًا بابويًا للقضاء على التواجد الإسلامي في صقلية وجنوب إيطاليا، لأنه كان يعتبرهم كالطاعون، وكان دائمًا ما يستنكر التعاون

---

(١١) Engreen Fred E.: Pope John the Eighth and the Arabs, in Spec., vol.20, No. 3 (Jul. 1945) , University of Chicago Press on behalf of the Medieval Academy of America , pp. 319 , 321; Article of Pope John VIII: in *Cath. Ency* ; Barbara Kreutz : op. cit., p. 26 – 28 .

بين المسلمين والمسيحيين في إيطاليا واصفًا هذا التحالف بأنه تحالف بين "الوثنيين والمسيحيين الأشرار" الذين جمعتهم قضية واحدة هي مهاجمة البابوية [١٢] .

وكان مشروع البابا حنا الثامن بالقضاء على التواجد الإسلامي في صقلية وجنوب إيطاليا، يرتكز على قاعدة استراتيجية خطيرة، ألقى الضوء عليها المؤرخ انجرين حينما قال بأن الدفاع عن إيطاليا يجب أن يسير في اتجاهين متوازيين أولهما حماية الساحل وكذلك حماية البر الرئيسى؛ لأنه يمكن لأي قوة في النصف الجنوبى من إيطاليا، أن ترفع أسطولاً وجيشًا بريًّا للاستيلاء عليها [١٣]، وأن ما ينطبق علي إيطاليا ينطبق بالضرورة علي روما، ولكن باختلاف يسير؛ وهو أن البابوية لا تملك جيشًا أو أسطولاً يتواجدان بشكل نظامى دائم لحمايتها، ومن هنا تنبع خطورة الموقف الذي ينذر بعودة حركة الفتوح الإسلامية وبتحول إيطاليا كلها إلى الإسلام.

ولعلاج هذا النقص، كان على البابا حنا الثامن إيجاد حلفاء أقوياء يمدونه بجيش وقوة بحرية لمواجهة الأغالبة. وبقراءة خريطة القوة المسيحية في هذا الوقت، سندرك أنه لم يكن متاحًا للبابوية سوى التحالف مع الملوك والأمراء المسيحيين في شبه الجزيرة الإيطالية، أو التحالف مع الإمبراطور البيزنطي باسيل الأول المقدونى Basil I (٨٦٧-٨٨٦م)، وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة لويس الثاني Louis II (٨٥٠- ٨٧٥م)، ولكن كيف يتم التوفيق بين إمبراطور مسيحي أرثوذكسي بيزنطي، وبين إمبراطور مسيحي كاثوليكى كارولنجي؟! .

والحقيقة، إن محاولة البابا حنا الثامن للتقريب بين الطرفين المتنازعين، كانت بالغة الصعوبة رغم حتميتها، فقد سبقه في المحاولة الإمبراطور البيزنطي باسيل المقدوني حينما راسل الإمبراطور الرومانى المقدس لويس الثاني Louis II (٨٥٠- ٨٧٥م)، لكن مشروع

---

[١٢] Barbara Kreutz: op. cit., p. 26 – 28 ; Engreen Fred E. : op. cit. , pp. 319 , 321 .

[١٣] Ibid. , pp. 322 – 323 .

التقارب فشل فشلاً ذريعًا.[١٤]؛ ولكن خطاب لويس الثانى وضع يده على مواطن الضعف الكثيرة في العلاقة بين الإمبراطورين، حيث أجاب في الخطاب عن التساؤل المطروح منطقيًا لماذا نجح المسلمين في صقلية وجنوب إيطاليا في تهديد إيطاليا كلها على الرغم من هزيمتهم في باري[١٥] عام ٨٧١م؟! حيث اعتقد الجميع أن تلك الهزيمة ستقضي على المسلمين

---

[١٤] كان هناك مشروع زواج سياسي بين قسطنطين ابن باسيل المقدوني، وبين إيرمنجار (٨٥٢-٨٩٧م) Ermengarde of Italy ابنة لويس الثاني لتحقيق التقارب بين الطرفين والتحالف ضد الوجود الإسلامي في جنوب إيطاليا وصقلية، لكن المشروع فشل بسبب وقاحة المندوب الإمبراطوري في السفارة، وقد تناولت أحدي الدراسات هذا الرأي بالتفصيل وكان باسيل قد أرسل القائد البيزنطي نيقتاس، حيث خاطب الملك لويس بلقب "ملك الفرنجة" بالرغم من وصول سفارة وصلت إلي القسطنطينية عام ٨٧٠م لإتمام الأمر، لكن الأمور تدهورت بعد أن أيقن باسيل بخطورة أطماع لويس في اللقب الإمبراطوري خاصة بعد أن استفاد من حملة البيزنطيين علي باري Bari – عاصمة إقليم أبوليا جنوب إيطاليا – في عام ٨٧١م وهزيمتهم للمسلمين ونسب الفضل لنفسه . لمزيد من التفاصيل انظر:

وديع فتحي عبد الله: بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية في عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م/٢٥٣-٢٧٣هـ)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ٣٦- ٣٩.

[١٥] دخل العرب شبه الجزيرة الإيطالية وكانوا يسمونها البر الطويل من الجنوب، وكان تأسيس أول إمارة إسلامية علي يد قوات بحرية أتت من كريت عام ٢١٩هـ/٨٣٤م استولت علي تارنت وبرنديزي، ثم مدينة باري عام ٢٢٩هـ التى أسس فيها القائد المسلم المفرج بن سليمان إمارة إسلامية وتولي الإمارة من بعده قائد يدعى سودان الذي اعتبره الخليفة العباسى أحد الولاة التابعين للخلافة الإسلامية العباسية، ولكن إمارة بارى لم تستمر سوي ثلاثين عامًا تقريبًا من ٨٤١ – ٨٧١م، إلى أن تم القضاء عليها بعد هزيمة القائد سودان في معركة باري ٨٧١م، علي يد القوات البيزنطية وقوات لويس الثانى إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن دولة الأغالبة استمرت في جهادها ولم تترك الجهاد البحري رغم الهزيمة الثقيلة للمسلمين وحافظت علي وجودها في شبه الجزيرة الإيطالية بفضل الأمير أبى الأغلب العباس بن الفضل وقائده المحنك الفضل بن جعفر الهمذانى .

ابن الأثير: مصدر سابق، ج٦، ص ٧٥ – ٧٦؛ جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث، تراث الإسلام، ج١، ترجمة محمد زهير السمهوري، حسين مؤنس، تعليق وتحقيق شاكر مصطفي، دار الأمل، ١٩٨٥م، ص ١٢٩ . (حاشية)

وتطردهم من شبه الجزيرة الإيطالية . وقد أوضح لويس الثانى أن السبب في خيبة الأمل واستمرار التهديدات؛ هو تحالف بعض أمراء إيطاليا مع المسلمين، وخص بالذكر منهم حاكم نابولى، الذي قدم الدعم وأرشد المسلمين إلى كيفية اجتياز الغابات والطرق لمهاجمة روما نفسها، ويكفي أن المسلمين حينما يتم هزيمتهم في أي معركة،لا يتقهقرون إلي أفريقيا أو حتى إلى بالرمو – شمال صقلية – بل يزحفون إلي نابولى ليكونوا في حماية حاكمها المسيحى، الذى جعل المنطقة من نابولى إلى بالرمو كأنها أفريقيا، حيث يتجمع المسلمون هناك ليعيدوا تنظيم صفوفهم ويجددوا هجماتهم(١٦) .

ومن خلال هذا الخطاب يتبين لنا أن هناك حالة إدراك وتشخيص حقيقي لأسباب تغول المسلمين في إيطاليا، وأنه لطردهم يجب توحيد الصف ورأب الصدع بين الأطراف المتنازعة سواء في بيزنطة أو إيطاليا، بما ينطوي تحتها من أمراء أو قوميونات تجارية أو حتى الإمبراطور الرومانى المقدس حتى وإن كانت مصالحهم السياسية والاقتصادية متضاربة؛ وبالتالي كان على البابا حنا الثامن اتباع سياسة حذرة حتى لا يظهر ميله إلى طرف دون الآخر فتزداد الأمور تدهورًا .

حصار المسلمين لمدينة روما ٨٧٥م.

تعرض البابا حنا الثامن لضربة قاصمة كادت تودي بحياته، وذلك حينما قام المسلمون بمهاجمة مدينة روما في عام ٨٧٥م، حيث ذكرت المصادر المعاصرة أنه في هذا العام تعرضت مدينة روما لابتلاء شديد، حينما ضربت سفن المسلمين المدينة ودمرتها وقد تم رصد الأحداث التالية من خلال خطاب البابا حنا الثامن المؤرخ بعام ٨٧٥م إلى الإمبراطورة انجلبرجا Angelberga of Italy (٨٥٥ – ٨٧٥م) وإلي زوجها الإمبراطور لويس الثانى يخبرهما أن المسلمين قد دخلوا روما واحتلوها بالفعل، وتمكنوا من أسره لمدة خمسة أيام، وأصيب جسده في تلك الأحداث بجروح طفيفة،

---

(١٦) udovici II Imperatoris epistola ad Basilium I . Imperatorem Constantinopolitanum Missa 871, in M. G. H, in Lud. II Impe. Epis. Ed Henze, tom. V , pp. 393 – 394 .

ولكنه استطاع الهرب بمساندة بعض المؤمنين من المسيحيين، الذين تمكنوا من أسر ثماني عشرة سفينة للمسلمين، ولكنهم اضطروا لإطلاق سراح ما يقرب من ستمائة أسير مسلم، ولهذا فإن البابا حنا الثامن سيأتى إلي الزوجين الإمبراطوريين بنفسه، ويطلب منهما إرسال قوات بحرية لمحاصرة شواطئ روما والبقاء أمام سواحل المدينة حتى يتم الحول دون نهب المزيد من الأماكن التي لم يتم نهبها بعد [١٧] .

ويتضح لنا من تحليل الخطاب السابق أن البابا كان خارج روما، وحينما عاد إليها وجد المسلمين قد احتلوها، وتمكنوا من أسره بالفعل لكن قوات بحرية مسيحية عددها ليس بالقليل جاءت لتخليصه من أيدي المسلمين، وتمكنت من أسر ستمائة مسلم، والاستيلاء علي ثماني عشرة سفينة، الأمر الذى يدعم حدوث معركة بحرية بين الطرفين ترتب عليها إخراج المسلمين من مدينة روما، بعد أن استولوا عليها بالفعل لمدة خمسة أيام، هي مدة بقائه أسيرًا في يد المسلمين حسبما ورد في الخطاب؛ وربما كانت هناك مبالغة من البابا حول عدد السفن والأسرى من المسلمين لإنقاذ ماء وجهه، وإلا لما اضطر لإطلاق سراحهم، والمرجح أن البابا حينما طالب الزوجين الإمبراطوريين بإرسال قوات بحرية لحصار سواحل روما؛ لأن هناك بعض الجيوب أو المناطق المحيطة بروما لم يرحل عنها المسلمون بعد، ولذا فهو يخشى أن تتعرض للنهب، ويأمل أن يتم الإسراع بإرسال قوات بحرية، حتى لا يحكم المسلمون سيطرتهم علي روما للأبد .

---

[١٧] chempert: Erchempert's History of the Lombards of Benevento , in Ph.D trans. & study of its place in the chronicle tradition by Joan Rowe Ferry, Rice University , Houston , Texas , May 1995 , p. 188 ; Iohannes VIII Papa: Iohannes VIII papa (Ludovico II imperatori et Angilergae imperatrici nuntiat de Victoria a Sarraceenis reportata , auxilium expetit (875) , in *Frag. Reg. Ioha. VIII ed. Casp.* , in M. G. H , Epistolae Merovingici et Karolini aevi , tom. V, Edidit Societas Aperiendis Fontibvs Rervm Germanicarv Medii Aevi , Berolini , 1928 , p.303 .

بيد أن تغييرًا مفاجئًا استجد علي الساحة السياسية، بعد وفاة الإمبراطور لويس الثاني في أغسطس ٨٧٥م، إذ توجب علي البابا حنا الثامن إيجاد حليف بديل من البيت الكارولنجي المتصارع علي العرش، وقد وجد البابا مبتغاه في شارل الأصلع Charles the Bald (٨٤٠- ٨٧٧م)[١٨]، حيث استدعاه إلى روما ليتم تتويجه إمبراطورًا مقدسًا، وقد أكد المصدر المعاصر وصول شارل الأصلع إلي روما في الرابع عشر من ديسمبر ٨٧٥م، لكن التتويج الفعلي كان في يوم عيد الميلاد، حيث تم الاستقبال والتتويج بمراسم وحفاوة بالغة في كنيسة القديس بطرس بروما، وقام الإمبراطور بتكليف لامبرت الأول أف سبوليتو Lambert I of Spoleto- (٨٧٦-٨٨٠م) وأخيه جي الثالث أف سبوليتو Guy of Spoleto (ت. ٨٩٤م) لمساعدة البابا في مشروعه للقضاء على المسلمين[١٩]. عند هذا المنحنى يمكننا القول إن البابا حنا الثامن أدار الصراع على العرش داخل البيت الكارولنجي بما يتوافق مع هدفه؛ وهو القضاء على المسلمين في المنطقة، وأن تتويج شارل الأصلع دون غيره من المتنافسين قد تم وفق صفقة عقدها معه البابا مقابل تعهده بتقديم الدعم للبابوية في حربها للمسلمين والدليل على ذلك تعيينه لأثنين من أقوى رجال إيطاليا لخدمة المشروع البابوي للقضاء علي المسلمين .

---

[١٨] ولد شارل الأصلع في ١٣ يونيه عام ٨٢٣م، كانت والدته جوديث أف بافاريا Judith of Bavaria (ت. ٨٤٣م) ووالده هو الإمبراطور لويس التقى (٨١٣ – ٨٤٠م) وفي أواخر أيامه دخلت الإمبراطورية الكارولنجية في حرب أهلية ونزاع على العرش بين أبنائه انتهت بتوقيع معاهدة فردان عام ٨٤٣م وتقسيم الإمبراطورية الكارولنجية على أبنائه الثلاث لوثير الأول الذي آلت إليه إيطاليا والأراضي المحصورة بين الراين، لويس الألماني الذي آلت إليه ألمانيا، شارل الأصلع الذي أصبح ملك فرنسا ثم إيطاليا بعد وفاة أخيه الإمبراطور لوثير ووفاة ابنه لويس الثاني، قام البابا حنا الثامن باستدعاء شارل الأصلع ليصبح ملك إيطاليا (٨٧٥-٨٧٧م)، ثم توجه في روما ليكون إمبراطورًا رومانيًا مقدسًا (٨٧٥- ٨٧٧م). انظر:
The Annals of st. Bertin , p. 189 ; Janet L. Nelson : Charles the Bald , Routledg , London , New york , 2013 , pp. 74 - 75 .

[١٩] The Annals of st. Bertin: op. cit, pp. 187 ,189 ; Erchempert's History of the Lombards of Benevento, p. 188 .

ومما يؤكد فكرة الصفقة البابوية مع شارل الأصلع، خطاب البابا حنا الثامن إلى انجلبرجا زوجة الإمبراطور السابق لويس الثاني، والمؤرخ بالسابع والعشرين من مارس ٨٧٧م يطالبها بالتوقف عن الصراع مع الإمبراطور الجديد، وأن تتوقف عن التدخل في أمور السياسة وتتعامل بنزاهة مع شارل الأصلع؛ لأن البابا كما يعتبرها ابنته، فإنه يعتبر شارل ابنه، ولهذا يجب أن يكون أصدقاؤه أصدقاءنا وأعداؤه أعداءنا، ولهذا، فإنه ينصحها بالتفرغ للأمور الروحية وللعبادة وترك السياسة [٢٠] .

حصار المسلمين لمدينة روما ٨٧٧م .

لم يكد يرحل شارل الأصلع عن روما بعد تتويجه بأيام، حتى أصبحت صفقته مع البابوية محل اختبار حقيقى؛ حيث عبر المسلمون إقليم كامبانيا، ومنها إلي مرتفعات سابينا Sabine Hills – وسط إيطاليا – واستمروا بالزحف حتي أسوار مدينة روما وحاصروها بالفعل، فاستنجد البابا حنا الثامن بالكونت بوسو اف بروفانس Boso of Provence (٨٥٠– ٨٨٧م) [٢١] النائب الإمبراطوري missus dominicus لشارل

---

[٢٠] ohannes VIII Papa: Iohannes VIII Papa Angilbergam impertricem consolatoriis commonet, au Karolo (Calvo) iperatori fidi et sincerae devotinis exhibeat integritatem (27 Mart. 877), in Reg. Iohn.VIII, ed. Casp, in M. G. H., tom. V, pp. 42 – 43; The Annals of st. Bertin, pp. 189 – 190.

[٢١] ينحدر بوسو أف بروفانس من سلالة الملوك الكارولنجيين، تزوج مرتين الأولى من سيدة غير معروفة الاسم، وقد تم اتهامه بأنه قتلها بالسم، وزوجته الثانية كانت ايرمنجارد ابنة الإمبراطور لويس الثانى، وأخت الإمبراطور الجديد شار الأصلع وكانت وقتها قد تجاوزت الخامسة والثلاثين عامًا، وكان الزواج عام ٨٧٦م، وقد شغل عدة مناصب أهمها كبير الوزراء، والنائب الإمبراطوري لشارل الأصلع فى إيطاليا عام ٨٧٦م وتحديداً بعد أيام من تتويج شارل الأصلع إمبراطورًا مقدسًا، وعند رحيل شارل تركه ليدير إيطاليا بحاشية اختارها بوسو بنفسه، تميز بعلاقاته الودية مع البابا حنا الثامن لدرجة أن البابا تبناه، وترددت الأقاويل بأنه يرغب في تتويجه إميراطورًا مقدسًا، وفى أثناء عودة البابا من رحلته توجه إلى بروفانس حل ضيفاً عليه وعلى زوجته إرمينجارد وتوفي بوسو عام ٨٨٧م . انظر:

Ibid., pp. 189 – 190; Pierre Riche: The Carolingians "A Family Who Forged Europe", tran. by Michael Idomir Allen, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1993, pp. 203, 212.

الأصلع في روما، وقد كانت الأوضاع مأساوية للمدينة طوال فترة الحصار، وهو ما اتضح من خلال خطاب الاستغاثة الذي وجهه البابا حنا الثامن إلى الإمبراطورة ريشالدي أف بروفانس Richilde of Provence زوجة الإمبراطور شارل الأصلع، والخطاب مؤرخ بـ العاشر من فبراير ٨٧٧م يستجدي فيه البابا الإمبراطورة، أن تضغط على الإمبراطور شارل الأصلع بكل ما أوتيت من قوة، لكى يسرع لنجدة روما متسائلاً أين هو الإمبراطور؟ في الوقت الذي تحاصر فيه روما من المسلمين والمسيحيين الأشرار – حسب وصفه –، حتي كادت تنفذ المؤن والطعام من المدينة، وأصبحت الطرقات مغلقة، وأن البابا يسكب العبرات حسرةً على ما يفعله هؤلاء المسيحيون حين يضطهدونه ويمنعونه حتى عن إرسال الرسل، حتي أصبح البكاء أكثر نفعًا من الكلام، وأنه علي الإمبراطور أن يسرع لنجدة روما حتى لا يتساءل الناس أين هو؟ وإذا لم يأت الإمبراطور قبل انتهاء فصل الشتاء وحلول فصل الربيع، فإن روما مدينة بطرس الرسول والقديس بولس ستضيع، أو سيضطر البابا لاقدر الله أن يهرب بحياته ويترك المدينة ليسيطر عليها الوثنيون (المسلمون)[٢٢].

وبتحليل الخطاب السابق يتضح لنا أن لجوء البابا إلى إرسال خطاب بهذا القدر من الصراحة المؤلمة، في الوقت الذي التزم فيه بجانبه من الصفقة، بعد تتويج شارل الأصلع يدفعنا إلي التيقن من الوضع المأساوي لمدينة روما، فهو يرسله إلى امرأة مستخدمًا عبارات قد تؤتي ثمارها مع النساء مثل البكاء والحسرات والتلويح برغبته في الفرار بحياته .... إلخ ويتوسل إليها أن تمارس كافة الضغوط الممكنة، والإلحاح على زوجها، عل الأمر يتمخض عن أى رد فعل إيجابي من الإمبراطور، كما يوضح أن المسلمين قد أحكموا الحصار من خارج أسوار المدينة، بينما أحكم حلفاؤهم من المسيحيين الحصار علي البابا من داخل أسوار المدينة، وبالتأكيد إن هذا التصريح

---

[٢٢] Iohannes VIII Papa: Iohannes VIII Papa Angilbergam impertricem consolatoriis commonet, au Karolo (Calvo) iperatori fidi et sincerae devotinis exhibeat integritatem (10 Feb. 877), in M. G. H, tom. V, pp. 32 – 33 .

الخطير على لسان حنا الثامن، يدل على أن البابا وسع مداركه بأن المسيحيين الأشرار، والمقصود بهم حلفاء المسلمين في إيطاليا، سواء من حكام المدن الإيطالية، أو تجار أمالفي وغيرهم من المدن التجارية، هم أشد خطرًا عليه من المسلمين أنفسهم.

ولم تتوقف محاولات الاستغاثة من البابا حنا الثامن، حيث ذكرت المصادر المعاصرة أن وفدًا من البابوية برئاسة كل من بطرس أسقف فوسومبورن Peter bishop of –Fossombrone، وبطرس أسقف سينيجاجليا bishop of Sinigaglia قد وصلا إلى مدينة كومبياني Compiègne – شمال فرنسا – في السابع من أبريل ٨٧٧م لاستدعاء الإمبراطور شارل الأصلع، للوفاء بقسمه في الدفاع عن كنيسة روما، والقضاء على المسلمين الذين يهددونها، ووردت الأخبار أن البابا حنا الثامن سيقابل الإمبراطور شارل في مدينة بافيا Pavia – جنوب غرب لمبارديا – قام البابا والإمبراطور في بافيا انتظارًا لوصول بوسو أف بروفانس والنبلاء برنارد بلانتابيلوسا Bernard Plantapilosa (٨٦٤–٨٨٦م)، وبرنارد الثانى أف جوثيا Bernard II of Gothia (ت.٨٩٧م)، ولكن طال الانتظار دون فائدة بعد أن تآمر النبلاء علي إمبراطورهم، دون اعتبار له أو للبابا الذي خاب أمله في أي نجدة له، ورحل خالى الوفاض عائدًا لروما، تلك المدينة المنكوبة بتهديدات المسلمين، ولم يلبث أن مات حليفه الإمبراطور شارل، مصابًا بالحمى وبالحسرة من خيانة رجال دولته[٢٣].

حينما فشلت استغاثات البابا حنا الثامن وضاق عليه الخناق من تهديدات المجاهدين المسلمين، اضطر لدفع جزية للمسلمين قدرت بـ خمس وعشرين ألف منقوشة من الفضة silver mancusi [٢٤] سنويًّا وقد اعترف البابا بتلك الجزية التي

---

[٢٣] The Annals of st. Bertin , pp. 199 – 202 .

[٢٤] هي عملة كانت سائدة في العصور الوسطى، وكانت تقدر بـ ٤.٢٥ جرام من الذهب، أو ما يكافئ ٣٠ بنس من الفضة – وفي نهاية القرن الثامن في عهد الأسرة الكارولنجية كان البنس يكافئ ٢جرام، وأحياناً يساوي ١.٧٠ جرام –، حيث ساد اعتقاد أنها تكافئ دينار ذهب من العملة الإسلامية، حتى إن منطوق كلمة mancus مأخوذة من الكلمة العربية "منقوشة"، للإشارة إلي النقش الموجود علي العملة، وكانت وحدة المنقوشة أخف وزنًا من الصولدي البيزنطى. انظر:

يتوجب عليه دفعها سنويًّا في خطابه لملك إيطاليا الجديد كارلومان Carloman (٨٧٧- ٨٧٩م) [٢٥] والخطاب مؤرخ بشهر مايو ٨٧٨م، قبيل توجهه إلى فرنسا في رحلة تستهدف الحشد العسكري لملوك الغرب الأوروبى ضد المسلمين [٢٦] .

وجدير بالذكر أن دفع البابا حنا الثامن الجزية السنوية للمسلمين سابقة خطيرة ومهينة للبابوية . وعلي الرغم من أن البعض قد يرى أن تلك الأموال ما هى إلا إتاوة فرضها المسلمون علي روما، لكن إنصافاً لمجاهدي الأغالبة يجب الإقرار أن الأموال لم تك هدفًا في حد ذاتها؛ لأن الفيصل في حركة الفتوح الإسلامية عرض الدين

Mark Blackburn , Philip Grierson : Medieval European Coinage " The Early Middle Ages 5 th -10 th Centuries " , Vol. 1, Cambridge University Press , Cambridge , 1991 , p. 327 .

[٢٥] يعرف كذلك باسم كارلومان أف بافاريا Carloman of Bavaria وهو الابن الأكبر للويس الألمانى و إما Emma ابنة كونت بافاريا، وبموت أبيه أصبح ملك بافاريا، وقد اختاره الإمبراطور لويس الثانى ليكون خليفته في إيطاليا من بعده، لكن شارل الأصلع أخذ إيطاليا ٨٧٥م بمباركة البابا حنا الثامن، وهو ما جعله يسعى لاسترداد حقه بالقوة وسعى لاجتياح إيطاليا عام ٨٧٧م ، ولكنه أصيب بمرض أصابه بالعجز واضطر للتخلي عن ممتلكاته، فتنازل عن بافاريا لأخيه الصغير لويس، وتنازل عن إيطاليا لأخيه شارل السمين . لمزيد من التفاصيل انظر:

The Annals of st. Bertin , pp. 202 – 203 ; C. W. Previté-Orton : Shorter Cambridge Medieval History,: Vol. 1 " The Later Roman Empire to the Twelfth Century " , Cambridge university press , Cambridge , London , New york , 1975 , pp.350 – 351 .

[٢٦] Iohannes VIII papa: Iohnnes VIII papa Kaolomanno regi scribit se et paganorum persecution, quibus censum vigintiquinque milium mancusorum solverit, et Lamberti ac Adelberti marchionum fraude impetitum navale iter in Franciam aggressum esse ad synodum celebrandam Petrum presb. card commendat. (Mai 878), in Reg. Iohn. VIII , ed. Casp , in M. G. H, tom. V, pp. 85 – 86 ; Ferdinand Gregorovius : History of the City of Rome in the Middle Ages , vol. 3, Cambridge University Press, Cambridge , 2010, p. 184 .

الإسلامي على أهل البلاد أو دفع الجزية، وعلى أية حال، فمن المؤكد أن البابا حنا الثامن لم يكن ينتوي الانتظام في دفع الجزية سنويًّا للمسلمين، ولكنه اعتبر الأمر مهلة لالتقاط الأنفاس وشراء الوقت، حتى يتسنى له الرحيل عن روما، وتركها آمنة من الهجمات المتتالية للأغالبة، بينما يسعى هو جاهداً لحشد أمراء وملوك الغرب الأوروبي ضد المسلمين في جنوب إيطاليا وصقلية، وهو ما يمكن اعتباره خطأ استراتيجيًّا وقع فيه المسلمين، حينما لم يستغلوا فترة تواجد البابا حنا الثامن خارج الأراضي الإيطالية، لإخضاع الأراضي البابوية للمسلمين، على اعتبار أن حشد البابا لملوك الغرب الأوروبي عمل عدائي يترتب عليه سحب المسلمين لتعهداتهم بعدم مهاجمة روما بعد تلقيهم أموال الجزية من البابوية.

بيد أن هناك رأيًا جديرًا بالملاحظة ورد في إحدى الدراسات حول سياسة البابا، حيث يؤكد أن سياسة البابا لم تستطع التفريق بين حماية الولايات البابوية في إيطاليا، وبين حماية الكرسي الرسولى في روما، وأن هذا الخلط أدى إلى استنزاف الخزانة البابوية Papal Patrimony [٢٧]، حينما تسرع في دفع الأموال لحلفائه وأعدائه علي

---

[٢٧] وفقاً لهبة قنسطنطين Donation of Constantine المزعومة، فإن الإمبراطور قنسطنطين أباح للبابوية أن تمتلك أراضى وممتلكات فى وسط إيطاليا، بحيث يكون لها حق التصرف فى الدخل والأموال التي تأتي منها، بوصفها أراضى تابعة للقديس بطرس، وبمرور الوقت سارت بعض عائلات النبلاء داخل وخارج إيطاليا على حذو قنسطنطين، وتبرعت بالأراضي أو أن بعض العائلات انقرضت ولم تترك ورثة لأراضيها في إيطاليا بفعل الحروب أو الغزوات الجرمانية، وبالتالي آلت ممتلكاتهم للبابوية، وقد ترتب على ذلك أن تدفقت الأموال على خزانة البابوية سواء من الضرائب أو أموال الإيجارات، وقد انتشرت تلك الممتلكات في إيطاليا، وصقلية، وأنطاكيا، وآسيا الصغرى، وفي منطقة هيبو في شمال أفريقيا، وأرمينيا، بيد أن تلك الممتلكات مع بداية القرن السابع توقفت علي أن تمنح للبابوية فى روما، حيث كان يفضل أن تمنح لكنيسة القسطنطينية، ومع اتساع حركة الفتوح الإسلامية وسقوط صقلية وجنوب إيطاليا في يد المسلمين فقدت البابوية جزءاً كبيراً من دخلها، إلى أن استطاع النورمان أن يستعيدوا تلك الممتلكات من المسلمين، فحكموا جنوب إيطاليا وصقلية بوصفهم تابعين إقطاعيين للبابوية . لمزيد من التفاصيل انظر:

Robinson I. S.: Reform and the Church (1073 –1122), in N. Cam. Med. His , vol. 4 , Cambridge University Press , Cambridge , pp. 288 – 289 .

السواء، كما أن البابا أخطأ في حساب جدوى التحالفات السياسية، وهو الرأي الذى توافق مع المؤرخة باربرا كيرتس حينما أكدت أن البابا حمل الخزانة البابوية فوق طاقتها في الوقت الذي أصبحت مدينة روما غير آمنة وطاردة للسكان بسبب هجمات المسلمين المتتالية [٢٨] .

وخلاصة القول إن البابا حنا الثامن خرج من هذه المحنة بمحصلة خطيرة؛ وهى ضرورة خلق وحدة مسيحية للتصدي للمسلمين، وأن هجمات المسلمين علي إيطاليا ما هي إلا عقاب إلهي نزل علي المسيحيين الأشرار – كما اعتاد أن يكرر في مراسلاته – وبالتالي كان التشخيص المنطقى لحل الأزمة هو منع التحالفات بين المسلمين والقوي المسيحية في إيطاليا، ولكن كيف السبيل لهذا في الوقت الذى يهرول أمراء إيطاليا إلي ملوك الأغالبة لعقد المعاهدات والتحالفات معهم ؟!، ومن البديهي أن البابا حنا الثامن كان يعلم جيدًا أن كل طرف لديه مخططات وأجندة خاصة به؛ وبالتالي هناك حالة من التربص وعدم الثقة المتبادلة، اعتقد البابا أنه قادر علي تلطيف الأجواء وتقريب وجهات النظر، عن طريق استيعاب الأولويات الملحة وترتيبها بشكل يقترب من إرضاء جميع الأطراف، وهى معركة سياسية كان حنا الثامن مضطرًا لخوض غمارها .

سياسة البابا حنا الثامن مع مدن عصبة كامبانيا .

كان أهم تحالف يسعى البابا للظفر به، هو تحالف مدن كامبانيا؛ لأن هذا الإقليم في موقع استراتيجي بين البابوية في روما، والمسلمين في جنوب إيطاليا وصقلية، وهو يضم مدن

كابوا Capua، جايتا، نابولى، امالفي، سالرنو Salerno، التي كانت جميعها بلا استثناء موقعة على معاهدة سلام مع المسلمين، لدرجة أنه حينما وردت سفارة من الإمبراطور البيزنطي باسيل المقدونى لطلب دعمهم في حروبه مع المسلمين في عام ٨٧٦م، رفضوا بشكل قاطع، لكن الأمر اختلف تماما مع البابا حنا الثامن الذي كان

---

[٢٨] Engreen , Fred E. : op.cit. ,pp. 328 – 329 ; Barbara Kreutz : op. cit. , p. 57 .

يراسلهم بشأن التحالف بعد حصار روما ٨٧٥م، وجاء بنفسه إلي كامبانيا لمتابعة الأمور عام ٨٧٦م، واستطاع إقناعهم بنقل وعودهم من حيز الأقوال إلي حيز الأفعال، حينما قام جويفار حاكم سالرنو Guaifer of Salerno– (٨٦١–٨٨٠م) بقتل عدد كبير من الأسرى المسلمين بحوزته، فيما يشبه إعلانًا للحرب [٢٩] .

وإذا تناولنا موقف مدن تحالف كامبانيا، سنجد أنها كانت أشبه ما تكون بالجزر المنعزلة فلكل منها سياسة مزدوجة المعايير ويحارب كل منهم الآخر . فعلي سبيل المثال سنجد أن دوقية نابولي التي يحكمها سرجيوس الثاني Sergius II of Naples (٨٧٠– ٨٧٧م) وكان يرغب بتقوية موقفه في إيطاليا، بالحفاظ على علاقات ودية مع الأغالبة، لدرجة أن الإمبراطور الكارولنجى لويس الثاني وصفه في عام ٨٧١م، بأن سرجيوس جعل المنطقة من نابولي إلى بالرمو، كأنها جزء من أفريقيا فاستحق بذلك أن يصدر البابا حنا الثامن ضده قرار الحرمان، وشجع أخاه الأسقف أثناسيوس الثاني Athanasius II of Naples (٨٧٨– ٨٩٨م) أن يخلعه عن العرش، وقد أثبت أثناسيوس تأييده للمشروع البابوي بسمل عين أخيه، وتسليمه للبابا حنا الثامن في روما، ليعتلي عرش نابولي مقابل تعهده بقطع العلاقات مع المسلمين، وفي المقابل أعطاه البابا الشرعية، بل وأرسل له دعمًا ماليًا يقدر بألف وأربعمائة منقوشة لدعم انقلابه علي أخيه سرجيوس، وهو ما جاء على لسان البابا نفسه حينما أرسل خطاباً لأثناسيوس يخبره بهذا في يناير ٨٧٨م[٣٠]، ومن المؤكد أن

---

[٢٩] Erchempert's History of the Lombards of Benevento , p. 188 ; Barbara Kreutz : op.cit. , p.58.

[٣٠] Ibid., pp. 189, 196; Iohannes VIII papa: Iohnnes VIII papa Athanasium episcopum Neapolitanum ob excommunicationem , et deiectionem fratris sergii collaudat, 1400 mancusos mox se daturum esse promittit petrum diaconum latorum praesentium commendat (Jan. 878), in M. G. H , tom. V, pp. 72 – 73 ; Ludovici II Imperatoris epistola ad Basilium I Imperatorem Constantinopolitanum Missa 871 , op. cit., pp. 393 – 394 .

البابا حينما أرسل هذه الأموال لإنفاقها في دعم أثناسيوس كان بهدف دعم المشروع البابوى ضد المسلمين .

وعلي النقيض تمامًا مما توقعه البابا حنا الثامن، قام أغلب مدن التحالف بخرق الاتفاق حينما دخل أثناسيوس حاكم نابولي، بولكاريوس حاكم أمالفي Pulcharius (٨٧٢- ٨٧٩م)، ودوسيبيليس Docibilis I of Gaeta (٨٦٧- ٩٠٦م) في تحالف مع المسلمين وهو ما ثبت معرفة البابا بأدق تفاصيله، حينما ذكره في خطاب مؤرخ بشهر سبتمبر ٨٧٩م [٣١]. ومن الملاحظ هنا أن البابا حنا الثامن كان في حالة تشدد مبالغ فيه، تجاه أية محاولة للتقارب بين مدن التحالف والمسلمين، وفي حالة إنكار تام لأية ضرورة سياسية تستدعى ذلك، وهو ما يعد موقفًا متناقضًا؛ لأن البابا شخصيًّا سلك هذا المسلك من قبل حينما اضطرته الظروف وهادن المسلمين ودفع لهم الجزية، وربما اعتقد البابا أن حكام نابولي وجايتا وأمالفي بإمكانه الوثوق بهم لكونهم رجال دين وحكامًا في نفس الوقت، لكن التجربة العملية أثبتت أنهم كانوا سياسيين أكثر من كونهم أساقفة .

ترتب علي تحالف جايتا ونابولى وأمالفي مع المسلمين أن أصدر البابا حنا الثامن قرار الحرمان ضدهم في عام ٨٧٩م، وكان أكثرهم تنازلاً وتفريطاً الأسقف أثناسيوس حاكم نابولى الذى سمح للمسلمين لأول مرة أن يستخدموا ميناء نابولي الذي انطلقوا منه لمهاجمة بنيفنتو التى أطاحوا بها، وكذلك فعلوا في سبوليتو Spoleto – وسط إيطاليا – حتي وصلوا إلى مدينة روما نفسها في عام ٨٨٠م، وهو ما دفع البابا إلى

---

(٣١) Iohannes VIII papa: Iohnnes VIII papa Athanasium episcopum Neapolitanum , Petrum episcopum et Pulcarim peraefecturium Amalfitanos, episcopum Caietanum et Docibilem et Iohannem hypatos paribus hortatur , ut tandem aliquando foedus ictum cum saracenis usque ad 1 Decebris 879 dissolvant; Pulcarim praeterea ab infestatione Pandenulfi Capuani iudicis dehortatur (Sept. 879), in Reg. Iohn. VIII , ed. Casp, in M. G. H, tom. V, pp. 204 – 205.

تصعيد موقفه فحول قرارات الحرمان إلى قرارات باللعنة Anathema [٣٢] ضد أثناسيوس على وجه الخصوص حيث لعنه في أبريل ٨٨١م، لكن المثير للدهشة أن أثناسيوس واصل التصعيد من جانبه وأرسل سفراء إلى صقلية عام ٨٨٢م لكى يستدعى المسلمين لمساندته في حروبه كما أكد الراهب ارشمبرت في حوليته [٣٣] . لكن تلك العقوبات والتهديدات البابوية بالحرمان واللعنة رغم صعوبتها علي حكام هم في الأصل رجال دين، لم تسفر عن شيء إلا مزيد من التقارب مع المسلمين .

وبالنسبة إلى كابوا فكان يحكمها الأسقف لاندولف Landulf II of Capua (٨٦٣-٨٧٩م)، وعلى الرغم من نقضه الهدنة مع المسلمين إرضاءً للبابا حنا الثامن في عام ٨٧٧م، مقابل أن تدفع البابوية له نفقات الجيش والأسطول . لكن الوقت لم يمهله كثيرًا؛ إذ توفي عام ٨٧٩م، ليتصارع من بعده ابنا أخويه لاندو Lando II، وباندينولف Pandenulf على حكم المدينة، وأصبحت مطمعًا لمدن التحالف لدرجة أن حاكم سالرنو جويفار Guaifer of Salerno (٨٦١-٨٨٠م) بمساعدة أسطول من الأمالفيين قاما بحصار مدينة كابوا في عام

---

[٣٢] الأناثيما Anathema مصطلح يعني اللعنة، وهى واحدة من أهم ثلاث عقوبات استخدمتها الكنيسة، لمعاقبة الخارجين عنها وهى : الحرمان Excommunication، والطرد Interdict، واللعنة، وتعتبر تلك العقوبة أشد قسوة وصرامة من عقوبة الحرمان بنوعيها سواء الكبرى أو الصغري، ويعتبر البابا حنا الثامن من أكثر بابوات القرن التاسع الميلادي استخداما لتلك العقوبة لأغراض سياسية، وقد أوضح معناها بأنه إذا كان الحرمان هو استبعاد من المجتمع والأخوة في الكنيسة كأفراد، فإن اللعنة هي استبعاد عن جسد المسيح، والمقصود هنا الكنيسة بالمعنى المادى والروحى . انظر :

Article of Anathema : in *Cath. Ency.*

[٣٣] Iohannes VIII papa: Iohnnes VIII papa omnibus episcopis vicinis nuntiat Athanasium episcopum Neapeolitanum ob foedus cum Saracenis factum nec disruptu, praecipue ob argentum ex praeda eorum acceptum, excommunctum esse (Apr. 881), in Reg. Iohn. VIII, ed. Casp, in M. G. H, tom. V, p. 246; Erchempert's History of the Lombards of Benevento, pp .196, 204.

٨٨٠م ، ورغم تدخل البابا يوحنا وتهديده بقرار الحرمان لكل من لاندو وباندولف حتى يوقفا النزاع ويتوحدا معاً ضد أمالفي وسالرنو، إلا إنهما عادا لمحاربة كل منهما للآخر بمجرد رفع الحصار عن كابوا، وعلى الرغم من أن البابا حنا الثامن جاء بنفسه مرتين إلى كابوا وتدخل لحل تلك النزاعات [٣٤] .

أما الصدمة الكبري، فكانت في تصرفات أمالفي وحاكمها بولكاريوس Pulcharius (٨٧٢- ٨٧٩م)، الذي تعامل مع البابا بمنطق التجار، ففي الوقت الذى دفع له حنا الثامن مبلغ عشر آلاف منقوشة من الفضة للخروج في حملة بحرية ضد المسلمين خلال عام، لكنه ماطل وطالب بزيادة المبلغ إلى اثنتي عشر ألف منقوشة ، وحينما رفض البابا وطالبه برد المال امتنع عن ذلك، ضاربًا بتهديدات البابا بالحرمان أو حتى اللعنة عرض الحائط، وقد أمهل كل من أمالفي ونابولى وجاييتا مهلة حتى أول ديسمبر ٨٧٩م لتنفيذ الاتفاق، وقد حاول البابا فيما بعد أن يأخذ حلًا وسطًا مع أمالفي، وعرض عليهم رفع قرار الحرمان وأن يدفع لهم عشر آلاف قطعة من الفضة سنويًا ويزيد عليها ألف قطعة أخرى، مقابل أن يتخلى الأمالفيون عن التعاون مع المسلمين سياسيًا أو تجاريًا، وإذا لم يستجيبوا سيتم حصارهم اقتصاديًا ومنعهم من التجارة مع التجار المسيحيين [٣٥].

---

[٣٤] Ibid. , pp. 194 – 195 , 201 .

[٣٥] Iohannes VIII papa: Iohnnes VIII papa Athanasium episcopum Neapolitanum, Petrum episcopum et Pulcarim peraefecturium Amalfitanos, episcopum Caietanum et Docibilem et Iohannem hypatos paribus hortatur, ut tandem aliquando foedus ictum cum saracenis usque ad 1 Decebris 879 dissolvant; Pulcarim praeterea ab infestatione Pandenulfi Capuani iudicis dehortatur (Sept. 879) , op. cit., pp. 204 – 205; Iohnnes VIII papa Petrum episcopum et Pulcarium et populum Amalfitanum hoortatur, ut a foedere Saracenorum tandem recedant, annuam pecuniam et insuper donum 1000 mancusorum eis promittit, alioquin eis anathema et mercatus impedimenta minatur (Dec. 879) , in Reg. Iohn. VIII, ed. Casp, in M. G. H , tom. V , pp. 218 – 219 .

وهناك ملاحظة غاية في الخطورة يمكننا أن نستشفها من تهديدات البابا حنا الثامن، وهى إرهاصات فكرة " الحصار الاقتصادي للمسلمين "ولمن يتعاون معهم على السواء، تلك الفكرة التي تبنتها البابوية وأوروبا في أواخر العصور، بما ترتب عليها تاريخيًّا وحضاريًّا، مما يدفعنا إلى التساؤل هل كان البابا بعيد النظر إلى هذه الدرجة ؟!، وهل اعتلاؤه كرسى البابوية في مدة عشر سنوات فقط أوجزت في تحديد طبيعة علاقة المسلمين مع البابوية، ووضعتها في ذلك الإطار العدائي الذي تجرع المسلمون مرارته طوال فترة العصور الوسطى .

وبحلول عام ٨٨٢م، كان هناك إجماع بين حكام وأمراء إيطاليا، بتجاهل أية مطالب لمواجهة المسلمين أو نقض معاهداتهم، برغم تلويح البابا حنا الثامن برفع قرارات الحرمان أو اللعنة عن الأمراء في حالة الاستجابة له، وكان أكثرهم تعنتًا الأسقف أثناسيوس حاكم نابولى حينما طالبه البابا بالتوقف عن التعامل مع المسلمين، وإلا قرار اللعنة سيظل واقعًا عليه وكالعادة لم يستجب له . وعمومًا فإنه إذا ما أردنا تقييم "حلف كامبانيا" تاريخيًّا، فلن نجد أفضل من وصف الراهب ارشمبرت في حوليته عن حروبهم مع بعضهم البعض بأنها "حرب أهلية مجنونة دارت بين الأخوة وأبناء العمومة"[٣٦]؛ لأن مدن الحلف حينما تعارضت مصالحهم، انقلب أحدهم على الآخر، وهو ما يحسب لحكام المسلمين من الأغالبة، الذين أجادوا في إدارة واستغلال ذلك الصراع لصالحهم، فأبطلوا كيد البابا حنا الثامن بهم، وجردوه من حلفائه الواحد تلو الآخر – مما يؤكد أن النوايا الطيبة للبابا وحدها ليست كافية، خاصةً إذا كان حلفاؤه ينتحرون من الداخل، ويجرونه معهم إلي الهاوية .

---

(٣٦) Iohannes VIII papa: Iohannes VIII. Athanasio episcopo Neapolitano solutionem e vinculo anathematis promittit , si foedus cum Saracenis tandem solverit (882) , in Reg. Iohn. VIII, ed. Casp, in M. G. H , tom. V, pp. 264–265; Erchempert's History of the Lombards of Benevento, p. 201.

انهيار مشروع البابا حنا الثامن للقضاء على مسلمي جنوب إيطاليا .

كان من المتوقع أن يبحث البابا حنا الثامن عن حليف بديل؛ عله يجد منقذًا من تهديدات المسلمين، خاصة بعد أن فشل حلف كامبانيا في تحقيق أهدافه، وقد كان الإمبراطور البيزنطى باسيل مرشحًا قويًا ليحل محلهم، خاصة أنه سبق وراسل حلف كامبانيا وأوفد لهم سفراء في عام ٨٧٥م؛ ليدعوهم للتحالف معه ضد المسلمين، لكنهم رفضوا كما أكد الراهب ارشمبرت ، وقد تشجع البابا حنا الثامن على هذه الخطوة، خاصة أن مشكلة الاعتراف بفوتيوس بطريارك القسطنطينية Photios I of Constantinople (٨٧٧ – ٨٨٦م) والتي كانت عقبة في طريقه، تم حلها بعد أن أجبر على تقديم بعض التنازلات كما وصفتها إحدى الدراسات التاريخية لإظهار حسن نيته، حتى يكسب الإمبراطور باسيل في صفه لمواجهة المسلمين[٣٧].

وهو ما تجسد في خطابى البابا حنا الثامن؛ حيث وجه الخطاب الأول إلى فوتيوس وهو مؤرخ بشهر أغسطس ٨٨٠م، وأبدى فيه استعداده للاعتراف ببطريارکية فوتيوس، لتحقيق الوحدة والسلام بين الكنيستين، على الرغم من بعض القرارات الواردة في مجمع القسطنطينية Council of Constantinople (٨٧٩ – ٨٨٠م) والتى فوجئ بها، كما أن مبعوثى البابا في المجمع الكنسي وجدا أنها لا تتفق مع تعاليم الآباء الرسل، أما الخطاب الثاني فهو موجه إلى الإمبراطور باسيل ومؤرخ بالثالث عشر من أغسطس ٨٨٠م، وطالب فيه بعودة تبعية كنيسة بلغاريا إلي روما، ويشكره على ترميم أحد الأديرة التابعة للبابوية في القسطنطينية [٣٨].

---

[٣٧] Ibid. , p. 188 ;

عادل عبد الحافظ حمزة: مرجع سابق، ص ١٤٠ .

[٣٨] Iohannes VIII papa: photio patriarchae de restituta unitate pacis et concordiae gratulatur, de mutatis (in synodo eius Constantinopoli habita a. 879/80) statutis quibusdam, quae ipse fecerat, miratur, litteras eius minus humiles reprobat, restitutionis eius decretum synodale se recipere asserit praeter ea, quae legati sui contra apostolicam praeceptionem fecerint (Aug. 880) , in Reg. Iohn. VIII, ed. Casp , in M. G. H, tom. V , pp. 26 – 28; Iohannes VIII.=

وعلى الرغم من آمال البابا العريضة، في بيزنطة التى تملك القوة البرية والبحرية القادرة على التصدى للمسلمين، إلا إن هناك قضية خطيرة لا يجب أن نغفلها، وهى أن العلاقات بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية في تلك الفترة، يدور محورها حول قضية من له السمو والتبعية؟ وما قضية فوتيوس والقطيعة بين الكنيستين إلا تجسيد لهذه الفكرة، ومن غير المنطقي أن يصدق البابا حنا الثامن أن أي نجاح للإمبراطور البيزنطى باسيل في أى معركة مع المسلمين يصب في صالح تدعيم نفوذ بيزنطة في إيطاليا، بل هو تمكين لبيزنطة على حساب البابوية، وأنها مسألة وقت حتى يعود النزاع علي السيادة الدينية بين روما والقسطنطينية .

لقد زادت الأوضاع البابوية تدهورًا ووقعت البابوية بين شقي الرحى، إذ استنجد البابا بالإمبراطور شارل السمين Charles the Fat (٨٨١- ٨٨٨م) في التاسع والعشرين من مارس ٨٨١م، بسبب توالى ضربات المسلمين على ممتلكات البابوية في وسط إيطاليا والولايات البابوية، في الوقت الذي أكد الراهب ارشمبرت "أن الحرب الأهلية بين مدن تحالف كامبانيا ازدادت اشتعالاً من بنيفنتو حتي سبوليتو إلى روما، وقد ترتب على ذلك احتراق الأديرة البندكتية والكنائس والمدن والقرى والغابات كل شيء احترق". وقد علقت إحدى الدراسات على هذا الأمر، بأنه استنزف الخزانة البابوية وما بها من أموال؛ لأنه حرمها من أهم مصادرها المالية[٣٩]، وهو ما يمكن

=Papa imperatoribus (Basilio I et filiis) de pacis soliditate et concodiae unanimitate post Photii patriarchae restitutionem gratulatur, gratias agit de dromonibus in suum adiutorium missis, de restitutione monasterii Sergii intra Constantinopolitanam urbem constituti, de Bulgarorum dioccesis oboedientia sibi concessa; auxilium et amorem eorum expetit (13 Aug. 880) , in Reg. Iohn. VIII, ed. Casp , in M. G. H , tom. V , pp. 28 – 30 .

(٣٩) Erchempert's History of the Lombards of Benevento, p. 196; Iohannes VIII papa: Iohannes VIII. papa Karolum (III) imperatorem imprecatur, ut exercitum suum quantocius ad succurrendum Romanae ecclesiae contra Saracenos

التعليق عليه بأن حروب المسلمين بالإضافة للحرب الأهلية في إيطاليا، جعل هذه الأديرة والمدن التابعة للممتلكات البابوية غير قادرة على دفع الضرائب والعشور، مما أسهم في تجفيف مصادر دخل البابوية من منابعها .

وعلى صعيد الإمبراطورية الرومانية المقدسة، سنجد أن البابا حنا الثامن قام بتتويج الإمبراطور الجديد شارل السمين، في يوم عيد الميلاد مع زوجته ريتشارديس Richardis (٨٨١- ٨٨٨م) وبالطبع كان البابا ينتظر منه الكثير، ويتوقع منه الانخراط في محاربة المسلمين، لتعويض خيبة الأمل التي لاحقت عصبة كامبانيا، وقد تبادل البابا معهما الخطابات بهذا الشأن؛ حيث جاء في خطاب موجه إلى ريتشارديس، ورئيس مستشاري الإمبراطور الأسقف ليتوارد أف فيرسالى Liutward of Vercelli (٨٨١ – ٨٨٧م) والخطاب مؤرخ بعام ٨٨٢م، ومن أهم ما جاء فيه : "أن البابا يبلغهما بمزيد من الحسرات والدموع بأن الألم يعتصر قلبه، ولم يعد في عينيه دموع لكي يبكي، وأنه حتى لو صرخ بأعلى صوته مع آرميا، فلن يعطيه أحد الماء لرأسه أو ينبوع الدموع لعينه، وأنه في حداد لخراب روما بسبب أفعال المسلمين، لدرجة أنه لا يجرؤ علي الخروج من المدينة، وأنه صحيح أن المدينة كانت هادئة، حينما جاءت الإمبراطورة ريتشارديس مع الإمبراطور إلى روما ليتم تتويجهما في العام الماضى – ٨٨١م- إلا إن المدينة الآن مليئة بعواصف من الاضطهاد والكراهية، التى يجب أن يواجهها الإمبراطور ويقضي عليها بنفسه فهو الوحيد القادر علي ذلك، حتى يتخلص من الأشرار – سواء من المسلمين أو حلفائهم المسيحيين- الذين يقتلون أبناءنا وبناتنا ويدنسون المدينة؛ لأنه لم يعد يجدي معهم وعظ أو إرشاد، وأن البابا لم يعد قادرًا على تحمل المزيد؛ لأن الموت أفضل له من البقاء في هذا الوضع، وأنه يشعر بأن الموت يلوح في الأفق . وقد وجه البابا إلى الإمبراطور التماسًا بالعفو وإطلاق سراح الإمبراطورة السابقة إنجلبرجا من منفاها، وإرسالها إلى روما لتكون تحت

---

transmittat; palmam benedictam ei dirigit (29 Mart. 881), in Reg. Iohn. VIII, ed. Casp. , in M. G. H , tom. V , p. 245 ; Engreen Fred E.: op.cit., p. 328 .

رعايته، وأنه يتعهد بمنعها عن التآمر ضد الإمبراطور، ولن تصلهم أي شكوي بسببها في المستقبل"(٤٠).

وبتحليل الخطاب السابق نستنتج أنه حتي عام ٨٨٢م، لم يتوقف المسلمون عن مهاجمة مدينة روما والتضييق عليها، بمساعدة حلفائهم من الأمراء المسيحيين، وأن اليأس استبد بالبابا حنا الثامن، ولعل لهجة الخطاب تفيد بأنه فقد الرغبة في المقاومة، وأن الأوضاع أصبحت فوق طاقته واحتماله، بحيث لا يري خلاصاً له من حالة الحزن – التي وصلت إلى الاكتئاب المزمن– إلا بالموت، وقد يرى البعض أن البابا ربما كان مبالغاً في وصف مشاعره، لكن لهجة الخطاب تنبئ عن إنسان مدمر نفسيًّا خاب أمله في كل من حوله، وإذا قرأنا خطابات البابا السابقة والتى استنجد فيها من هجمات المسلمين، سنلاحظ أنه إما أن يطالب بجنود أو نجدات ويرغب في المقاومة، سواء بالتهديد أو الترغيب، لكنه في هذا الخطاب يعلنها صراحةً بعد أن يأس من الجميع ، أنه يريد الموت ليجد راحته الأخيرة وكأنه يتنبأ بنهايته .

لقد استمرت الأحداث تسير من سيء لأسوأ، حتى قتل البابا نهاية عام ٨٨٢م على يد بعض رجال الدين المصاحبين له، ويشير المصدر المعاصر أن البابا كان يتم تسميمه بجرعات محددة لم تقتله على الفور، وأن القتلة رأوا أنه عاش أكثر من اللازم، فانهالوا عليه بمطرقة هشمت جمجمته وقتلته علي الفور، وأن القتلة استعجلوا قتله بتلك الطريقة البشعة لرغبتهم في الحصول على الكنوز التي يمتلكها، كما أنهم يطمعون في السيطرة على بعض الأسقفيات التابعة للكرسى البابوى (٤١) .

---

(٤٠) Iohannes VIII papa: Queritur nullam sibi contra Saracenorum excursiones opem ferri ; rogut ut ub imperatore celeriter posluletr auxilium: legatum suum commendat; petit det operam ut Angelberga ab exsilio revoceiur et Romam nuittalur (anno 882), in Opuscula et epistoae quae spectant ad causam Hincmari Laudunensis Joannes VIII Pontifex Romanus, in PL. tomus 126, Excudebatur et venit apud J. P. Migne, 1852 , pp. 949 – 950 .

(٤١) The Annals of Fulda , p. 106 .

عند هذا المنحنى الخطير يجب التنويه إلى أن البابا حنا الثامن، هو أول بابا يتم قتله في التاريخ على يد مسيحيين كاثوليك، وهو أمر جلل وخطير لم يكن له سابقة يحتذي بها، صحيح أن هناك عشرات البابوات تم قتلهم في القرون الأولى، لكنهم كانوا شهداء تم قتلهم على أيدى حكام أو أباطرة وثنيين، أما أن يقتل على يد مسيحيين كاثوليك، فتلك إشارة خطيرة بأن البابا حنا الثامن دفع حياته ثمنًا لسياساته الداخلية والخارجية التي ترمي إلى القضاء على المسلمين، فالمصدر المعاصر يؤكد أن البابا كان يتم تسميمه بالبطيء، وربما كان المحرض من الأمراء والحكام الذين أمطرهم البابا بقرارات الحرمان واللعنة، وأن قاتله الذي استعجل موته، ما هو إلا فرد في صف طويل من القتلة؛ الذين تيقنوا بأن كل هذه المشكلات لن تحل إلا بقتل البابا حنا الثامن، ومهما كان التبرير لتلك الجريمة النكراء، فإن حنا الثامن كان مخلصًا لفكرته بالقضاء على المسلمين وطردهم من جنوب إيطاليا، وأن العداوات التي اكتسبها هي نتيجة مباشرة لهذه الفكرة، التي سار خلفها وأنفق في سبيلها ما في الخزانة البابوية، وعلى الرغم من إخلاصه وحسن نواياه تجاه البابوية والغرب الأوروبى، إلا إن نهايته فسرت لنا لم كان في أواخر أيامه إنسانًا مكتئبًا مستنزفًا ماديًّا ومعنويًّا؟ لدرجة أنه يصطحب معه في رحلاته وأسفاره ما تبقى من أموال وكنوز هي في الأصل من ممتلكات البابوية، لكنه لا يأمن علي بقائها في روما، التي يهدد المسلمون بدخولها في أية لحظة، مما جعله مطمعًا لحاشية من الخائنين واللصوص الذين كان بعضهم للأسف رجال دين بدليل ما ذكره المصدر بأن بعضهم كانوا رجال دين طامعين في الحصول علي بعض الأسقفيات التابعة للكرسي البابوي – كما سبق الذكر – فقتلوه بوحشية وهمجية أدخلت البابوية في عقود من الظلام والمستقبل المجهول . لكنه وعلى الرغم من نهايته إلا إنه رسم الطريق وحدد السياسة التي يجب أن يسير عليها خلفاؤه من البابوات في تعاملهم وعدائهم للمسلمين .

قائمة الاختصارات

The Catholic Encyclopedia	Cath. Ency.
Fragmenta Registry Iohannis VIII . Papa , ed. E. Caspar	Frag. Reg. Ioha. VIII ed. Casp.
Ludovici II imperatoris epistola , ed. W. Henze	Lud. II Impe. Epis. Ed Henze
Medieval Italy an Encyclopedia	Med. Ita. Ency.
Monumenta Germaniae Historica	M. G. H
The New Cambridge Medieval History	N. Cam. Med. His.
Patrologiae Latina	P. L
Registrum Iohannis VIII. papae , ed. E. Caspar	Reg. Iohn. VIII , ed. Casp.
Speculum,	Spec.